الثورة الثلاثاء 3 ذو الحجة 1431هـ الموافق 9 نوفمبر 2010م العدد (16799)

قراءة في ديوان «إلى متى!» للشاعر حسين حماس

قبل أن أدلف في فضاءات ديوان إلى متى ! للشاعر حسين علي حماس الذي طبع في مركز عبادي على نفقته الخاصة أود أن استميح القارئ في أن أرنو بنظرة عجلى على سيرة ومسار ذلك الطائر الذي حط رحال براءته في قلوب كل من عرفه من أدباء ومثقفين ومتذوقين فحسين حماس ذلك الفتى الآتي من ريف وادي زبيد المتأثر بطبيعته المرتبطة بالأرض الشارد دوماً في عوالم مختلفة من إحساسه بمسئولية كل ما يدور حوله ذلك الإحساس الذي لم يكلفه به أحد بل نذر شاعريته في التعبير عن كل مواقفه تجاه الأشياء والمتغيرات وقبل أن ألج في عالمه الشعري أود أن أقول أن له من اسمه نصيب فحماسته ظاهرةٌ في حياته وتعاملاته وإلقائه لنصوصه الشعرية التي دائماً ما تجذب الجمهور

هشام عبدالله ورو

بل إن الشاعر حسين حماس دائماً ما يفرض على المتلقي حماسة استثنائية من خلال تميزه بإلقائه العفوي الذي يكاد يتميز به وإن عده البعض مأخذاً يؤخذ عليه إلا أني اعتبر أن سليقته جعلت الجمهور دائماً ينتصر له كشاعر له حضوره على منصة الإبداع .

في مقدمته للديوان يدعونا الشاعروالناقد الدكتور علاء الدين إبراهيم المعاضيدي رحمه الله وطيب ثراه للتأمل والإصغاء بقوله ((أتمنى أن نصغي إلى هذا الصوت الملتزم المفعم بالمحبة الحالم بواقع آخر ، المحلق في فضاءات واسعة ،))

من خلال هذه الدعوة التي قدمها الناقد المعاضيدي لا بد لنا أن نستشف شيئاً من ما خبأته السطور على الرغم أنه لم يتطرق إلى النصوص الشعرية أو أي منها في المقدمه إلا أننا نلمس الدعوة وبثقة أننا أمام شاعر وإن علق به غبار التقليد والتقرير أحياناً لكن فضاءاته ليس لها حد وبعبارة أخرى أستطيع أن أجزم أن حسين حماس من القلائل الذين انتصروا للقصيدة الخليلية بموضوعيتها التي أخذت بعداً ذاتياً ومجتمعياً بل وحلقت في منظور القضايا الوطنية والعربية ، :

إني أنا اليمن الأصيل وطالما
بالعون مرات مددت أنا يدي
لا تحسبي صبري عليك مخافةً
بل منة بالصبر أقتل حسدي.

وحسين حماس الشاعر الملتزم بوحدة الموضوع الملتزم بالثبات على ناصية القضية التي يتطرق إليها في جوانبها المتعددة إلا أن هناك من وصفه بالبعد عن العاطفة لكني عند تصفحي لأول نص في ديوانه الجديد إلى متى أجد الشاعر مسكوناً بالعاطفة مهووساً بالحب ولكن على طريقته الملتزمة :

رأيتك صدفة فخلبت لبي
بحسن فائق كالسحر يسبي
ملاكٌ أنت أم من حور عدن
فحسنك قد تفرد إي وربي
به اصطدت الفؤاد ودون جهد
بكل سهولة يهناك حبي
فرفقاً بي غدوت أسير حسن
أباح له الهوى سلبي ونهبي
فهاهوذا تمكن من فؤاد
عصي كان يأبى أن يلبي
تعصى كم على غيد غوان
وعند رؤاك سلم فاشرئبي .

ألا يذكرنا هذا المقطع بشعراء التراث العربي الذين تغنى حسين حماس بطريقتهم على محبوبته بل أني أجزم أنه لم يكن مقلداً بل طبيعة الحياة ومسقط الرأس في قرية نائية من وادي زبيد مديرية التحيتاء تجعل من هذا الشاعر مدعواً في كل حفل وزفاف ليس لشيء لكن الذائقة العامة لجمهوره فرضت ضرورته التي جبل عليها المتذوق لشعره ويكفيه أن له متشيعين من ريف وادي زبيد يأنسون للاستماع إليه وهذا ما نجده نادراً في كثير من الأحيان .

أدنو فتنأين عن
عيني من الخجل
والحب يجمعنا
نحيا مدى الأزل
ما كان في خلدي
أن تصبحي أملي
أو أن نرى أبداً
كالسمن والعسل.

عندما نتأمل هذه المقطوعة نجد صورة بديعة في الغزل بل والمعاناة تبين مدى ارتباط الشاعر بمحبوبته فكانت ألفاظه قمة في السلاسة والرومنسية لكن الجديد في الموضوع أن الشاعر عاد إلى طبيعته القروية عندما يشبه قربه من محبوبته وتحقيق حلمه من الوصول إليها باجتماع السمن والعسل وهوكناية عن عظيم مناله ونوال مقصده ولا أعتقد أني صادفت في الشعر العربي الحديث هذه الصورة لكن على غرابتها إلا أنها تحمل بعداً نفسياً أهم مافيه أنه ينبع من بيئة الشاعر .

يتنقل الشاعر في ديوانه الذي يحتوي على ١٠٦ صفحات من القطع الصغير في العديد من الأغراض الشعرية كما أسلفت لكني أجزم أن هناك جرأة أدبية غير مسبوقة من الشاعر في تناوله للهم العربي وتضامنه مع حركة حماس أو في تناوله لمعاناة بيئته ..

سوف ياقدس سوف سوف كفانا
سوفات والقدس مازال محتل
كم أقاموا من قمة تلو أخرى
جلها في حقيقة الأمر تفشل .

○○○○

يا أمةً كانت تجل وتحمد
لمرادها الدنيا تقوم وتقعد
بكتابها قامت فعزمكانها
واليوم للأعداء خوفاً تسجد

على الرغم من أنني أقف أمام شاعر ملتزم بامتياز كلاسيكي معاصر إن صح التعبير لكن الشاعر كما أعتقد كغيره من مجاليه لم يهتم بالعناوين على الرغم أنها تعتبر مدخل النص لكنه اعتمد في صياغة عناوينه على المباشرة والتلقائية مثل عنوان (وفاء الاتحاد) هذه القصيدة تعرض في نظره وفاء اتحاد أدباء زبيد في تأبين أحد مؤسسيه وهو الشاعر حسين غالب العليي رحمه الله تعالى ،(القدس أرثي والعراق)،(الصمود العراقي) ..الخ

إلا أن الديوان حقيقةً لا يخلو من عناوين رائعة وفيها من الرمزية والتأويل ما لا نستطيع تجاهله وتبدأ الرمزية من عنوان الديوان (إلى متى) ،(أدنو فتنأين)،(صدفة).

وقبل أن أختم هذه القراءة في ديوان إلى متى للشاعر حسين حماس لابد من الابتهال في محراب قصيدته الموسومة ٠عفواً رسول الله) متأملاً في جانب آخر من جوانب النفس المستكينة لدى الشاعر تلك النفس التي كانت غاضبة ومزمجرة في معظم تجربته الشعرية بل إن الحماسة غدت الملمح الأساسي للتجربة الشعرية للشاعر إلا أن قصيدته في مدح المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم شكلت ملمحاً مغايراً إتسم فيه الشاعر بالوقوف والاعتراف :

عفواً رسول الله طه المصطفى
عفواً فقلبي كاد أن يتوقفا
عفواً حبيبي إن أسأت تأدباً
عفواً فإن القصد أن أتشرفا

○○○○

وللشاعر في ديوانه مجموعة من النصوص الروحانية المتعلقة بمناجاته ومثوله بين يدي بارئه فعلى سبيل المثال نراه في ترحيبه ووصفه لحلول شهر الصوم:

شهر تعبدنا الإله بصومه
والله فيه على العباد تجلى

○○○○

ختاماً أخلص أني أمام شاعر ملتزم بقضية الشعر كونه رسالة وظفها في رسالة إنسانية بحته بل وظف تجربته ليؤكد للعالم أن الشعر مازال قادراً على إحداث التغيرات الإيجابية في المجتمع .

أتمنى عزيزي القارئ أن تمسك بيديك هذا الشاعر عبر دفتي ديوانه لتجد أن رسالة الشاعر الإنسانية تكمن في تحسسه لمكامن الخلل في المجتمع كونه المتحدث باسم العلاقة الإنسانية التي تربط البشر ببعضهم وبالمكان والزمان .

أنقاض ضوئية

شريف النعضي

المصابيح...
تستيقظ باكراً ...
في المساء
تمضغ ما تبقى ..
من فتات الشمس
العالق في الأفق
تمضي ...
تلعق العتمة
من شفة الليل
المشرئب إلى الفجر
تغطي ..
أجنحتها المكسرة
بينابيع الصباح
الممطر أنقاضاً ضوئيةً
كالبالونات ..
المتتصببة قلقاً ..
من أفواه الصغار
المعبدة بالابتسامة
تتقمص القمر..
في نهاية السطر الضوئي
تستدير ...
بشيخوخة كانتقام الماء
من النار
لعلاقته الخفية بالظلام
حاول الثلج
- يوماً-
أن يكشفها
أخفق ...
انزاح ...
نحو الانتظار
يترقب برقاً ...
كي يعمل ذلك .